بسم الله الرحمن الرحيم

كُنْ سَفِيرَ أَخْلاقٍ فِي سَفَرِكَ

الحَمْدُ للهِ المَلِكِ الحَقِّ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾[١]، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، السَّمِيعُ البَصِيرُ، خَلَقَ النَّاسَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِيَتَعَارَفُوا إِنَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَتَحَ لَنَا مِنَ النِّعَمِ أَبْوَابًا، وَشَرَعَ لَنَا فِي السَّفَرِ سُنَنًا وَآدَابًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى، وَلْتَكُنِ التَّقْوَى لَكُمْ شِعَارًا، وَالخُلُقُ الحَسَنُ لَكُمْ مَنَارًا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٢].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الصَّائِفَةِ – وَمَعَ اشْتِدَادِ دَرَجَاتِ الحَرَارَةِ – تَشُدُّ الكَثِيرُ مِنَ الأُسَرِ رِحَالَهَا حَيْثُ الهَوَاءُ العَلِيلُ وَالمَنْظَرُ الجَمِيلُ؛ تَرْوِيحًا لِلْقُلُوبِ، وَشُكْرًا لِعَلَّامِ الغُيُوبِ، وَكَمَا تَعْلَمُونَ – إِخْوَةَ الإِيمَانِ – أَنَّ السَّفَرَ فِي الإِسْلامِ مُبَاحٌ وَمُتَاحٌ مَتَى الْتَزَمَ المُؤْمِنُ سُنَنَ السَّفَرِ وَآدَابَهُ، فَسَفَرُ المُسْلِمِ عِبَادَةٌ وَتَفَكُّرٌ، وَسِيَاحَتُهُ تَأَمُّلٌ وَتَدَبُّرٌ ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٣]، ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٥]، وَلِذَا وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا بِأَحْكَامِ السَّفَرِ بَصِيرًا بِآدَابِهِ، حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ بِالمَكَاسِبِ وَالمَغَانِمِ، سَالِمًا مِنْ كُلِّ المَعَايِبِ وَالمَغَارِمِ.

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٠.
(٢) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.
(٣) سورة الروم: ٩.
(٤) سورة العنكبوت: ٢٠.
(٥) سورة الملك: ١٥.

إِخْوَةَ الإِيمَانِ وَالهُدَى:

الأَصْلُ فِي الحَيَاةِ الاسْتِقْرَارُ، وَالسَّفَرُ أَمْرٌ عَارِضٌ، وَلا رَيْبَ أَنَّ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الفَوَائِدِ وَلا يَخْلُو مِنْ تَعَبٍ وَنَصَبٍ، وَلِذَا يَنْبَغِي لِلمَرْءِ أَنْ لا يُكْثِرَ إِلَّا لأَمْرٍ يَنْتَفِعُ مِنْهُ، كَطَلَبِ عِلْمٍ أَوِ اكْتِسَابِ مَعِيشَةٍ، أَوْ تَرْوِيحٍ عَنْ نَفْسٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا المَقَامِ تَجْدُرُ الإِشَارَةُ هَذِهِ الأَيَّامَ إِلَى أَنَّ سَفَرَ النُّزْهَةِ وَالتَّرْوِيحِ يُعَدُّ مِنْ كَمَالِيَّاتِ الحَيَاةِ وَلَيْسَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهَا، فَلا يَنْبَغِي أَنْ يُسَافِرَ لِلنُّزْهَةِ وَالتَّرْوِيحِ إِلَّا مَنْ كَانَ لَدَيْهِ فَضْلُ مَالٍ وَوَقْتٍ، أَمَّا مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ مِنْ إِثْقَالِ كَاهِلِ الأُسْرَةِ بِالاسْتِدَانَةِ وَالاقْتِرَاضِ مِنْ أَجْلِ النُّزْهَةِ وَالاسْتِجْمَامِ، ثُمَّ الاصْطِلاءِ بِنَارِ الدُّيُونِ طِيلَةَ أَيَّامِ العَامِ، فَتَرَاهُمْ تَارَةً يَسْتَجْدُونَ عَطْفَ الدَّائِنِينَ، وَتَارَةً يَلْتَمِسُونَ فَضْلَ المُحْسِنِينَ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ العَقْلِ فِي شَيْءٍ، فَرُبَّ لَذَّةٍ تَزُولُ أَوْرَثَتْ حُزْنًا يَطُولُ، وَالصَّبْرُ عَلَى حَرِّ الصَّيْفِ وَشِدَّتِهِ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى ذُلِّ الدَّيْنِ وَمَرَارَتِهِ.

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِينَ:

مُتْعَةُ السَّفَرِ بِجَمَالِ أَهْدَافِهِ وَنُبْلِ مَقَاصِدِهِ، وَالمُؤْمِنُ الحَصِيفُ مَنْ يَضَعُ لِسَفَرِهِ أَهْدَافًا سَامِيَةً وَمَقَاصِدَ نَبِيلَةً، مَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُ المُسَافِرُ إِلَى البِلادِ شَرْقًا وَغَرْبًا سَفِيرًا لِلإِسْلامِ يَأْسِرُ النَّاسَ بِأَخْلاقِهِ وَفِكْرِهِ، بِمَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ، وَ((لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))، مَا أَجْمَلَ سَفَرَ المُؤْمِنِ وَهُوَ يُمَثِّلُ الإِسْلامَ فِي أَحْلَى مَنْظَرٍ وَأَبْهَى صُورَةٍ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلامِ بِأَخْلاقِهِ وَأَفْعَالِهِ قَبْلَ أَقْوَالِهِ، مَا أَجْمَلَ أَنْ يُسَافِرَ المَرْءُ وَكُلُّ هَمِّهِ طَلَبُ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَاكْتِسَابُ المَهَارَاتِ وَالخِبْرَاتِ الَّتِي تَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ بِالنَّفْعِ وَالفَائِدَةِ، مُتَرَفِّعًا عَنْ سَفَاسِفِ الأُمُورِ، وَنَائِيًا بِنَفْسِهِ عَنْ مَوَاطِنِ الفُجُورِ، أَكْرِمْ بِأُسْرَةٍ مُسَافِرَةٍ اتَّخَذَتْ مِنَ الأَوْقَاتِ الضَّائِعَةِ عَلَى مَتْنِ الطَّائِرَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ بَرْنَامَجًا مُثِيرًا وَمُمْتِعًا، كَقِرَاءَةِ كِتَابٍ مُفِيدٍ أَوْ قِصَّةٍ هَادِفَةٍ، أَوْ حِفْظِ شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ أَوْ مَتْنٍ مِنَ المُتُونِ، أَوْ إِقَامَةِ مُسَابَقَاتٍ بَيْنَ أَبْنَائِهَا تَصْقُلُ مَوَاهِبَهُمْ وَتُنَمِّي قُدُرَاتِهِمْ؛ بَدَلًا مِنْ إِضَاعَةِ الوَقْتِ فِي القِيلِ وَالقَالِ وَمَا لا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي فِي حَالٍ وَلَا مَآلٍ.

إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

أَخْوَفُ مَا يُخَافُ عَلَى المُسَافِرِ غَفْلَتُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ، أَوِ التَّأَثُّرُ بِفِكْرٍ مُنْحَرِفٍ أَوْ خُلُقٍ سَيِّئٍ، وَلِذَا سَنَّ الإِسْلامُ لِلْمُسَافِرِ سُنَنًا وَآدَابًا تَحْفَظُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، فَمِنْ آدَابِ السَّفَرِ اخْتِيَارُ الرَّفِيقِ الصَّالِحِ، فَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ، كَيْفَ لا؟! وَرَسُولُنَا الكَرِيمُ ﷺ يَقُولُ: ((المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))، فَعَلَيْكَ - أَيُّهَا المُسَافِرُ - بِخِيَارِ الأَصْحَابِ، إِنْ غَفَلْتَ ذَكَّرُوكَ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ نَصَحُوكَ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ قَوَّمُوكَ، وَإِيَّاكَ وَصُحْبَةَ مَنْ عُرِفَ بِسُوءِ خُلُقِهِ، فَمَنْ صَاحَبَ هَؤُلاءِ كَثُرَتْ مَصَائِبُهُ، وَكَمَا قِيلَ: قُلْ لِي مَنْ تُصَاحِبُ أَقُلْ لَكَ مَنْ أَنْتَ.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَتَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ الدِّينِ، وَكُونُوا سُفَرَاءَ الإِسْلامِ إِلَى العَالَمِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَخُلَّانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مِنْ آدَابِ السَّفَرِ الإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، فَقَدْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ حَضَرًا وَسَفَرًا، فَإِذَا رَكِبَ الرَّاحِلَةَ أَتَى بِالذِّكْرِ المَشْهُورِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[1]، وَإِذَا قَصَدَ سَفَرًا قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ المَنْظَرِ

(١) سورة الزخرف: ١٣ -١٤ .

وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ))، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: ((آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ))، وَكَانَ إِذَا رَقِيَ مُرْتَفَعًا كَبَّرَ اللهَ، وَإِذَا نَزَلَ مُنْخَفَضًا مِنَ الأَرْضِ سَبَّحَ اللهَ، وَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصًا عَلَى صَلاتِهِ وَعِبَادَتِهِ حَالَ سَفَرِهِ، بَلْ كَانَ يُصَلِّي النَّافِلَةَ وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، وَفِي هَذَا رِسَالَةٌ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الذِّكْرَ وَالصَّلاةَ، أَوْ يَتَهَاوَنُونَ فِيهِمَا مُتَّخِذِينَ مِنَ السَّفَرِ عُذْرًا لِمَا يَفْعَلُونَ فَـ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، وَمِنْ أَدَبِ السَّفَرِ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – إِذَا نَزَلَ المُسَافِرُ مَنْزِلًا أَنْ يَتْرُكَ المَكَانَ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ، وَمِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ أَنْ يَلْقَى النَّاسَ مُبْتَسِمًا بِوَجْهٍ طَلِقٍ، وَمِنْ حُسْنِ الخُلُقِ أَنْ يُقَابِلَ الحَسَنَةَ بِالإِحْسَانِ، وَالسَّيِّئَةَ بِالصَّفْحِ وَالغُفْرَانِ، يَقُولُ قُدْوَتُنَا ﷺ: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))، وَهُوَ فِي كُلِّ سُلُوكِيَّاتِهِ يُمَثِّلُ نَفْسَهُ وَأُسْرَتَهُ وَوَطَنَهُ وَدِينَهُ، فَلْيُحْسِنْ تَمْثِيلَهُ لِنَفْسِهِ، وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُؤْتَى الإِسْلامُ مِنْ قِبَلِهِ.

أَلَا فَلْنَتَّقِ اللهَ – عِبَادَ اللهِ – وَلْيَكُنْ مُقَامُنَا وَمُرْتَحَلُنَا فِي طَاعَةِ رَبِّنَا.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

(١) سورة الأحزاب: ٢١
(٢) سورة الأحزاب: ٥٦.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.